

الفصل الثالث

النواحي الجسمية

لا يجوز أن نفعل ما للتكوين الجسمي سواء من حيث التشريح أو وظائف الأعضاء أو الصحة العامة من أثر في الشخصية بوجه عام . فقد أثبتت الأبحاث صحة المثل القائل : « إن العقل السليم في الجسم السليم » .

وبعض الباحثين في الشخصية يهمل أحيانا هذا الركن الهام من أركان الشخصية برغم ارتباطه الوثيق بالنواحي الانفعالية والمزاجية التي تعتمد في أساسها على التركيب الكيماوي والغددى والدموى ، وبرغم تأثير النواحي الخلقية بكل ذلك . ولعل السبب في إهمال هذه الناحية لمن يدرسون سيكولوجية الشخصية وقوعها في دائرة علوم التشريح والطب ، ووضوح أهميتها لدرجة جعلها أمراً بديهياً مسلماً به . وطبيعى أن يكون لهذه العوامل تأثير واضح في كثير من الحالات المرضية كما في الأمراض التي تنتج من إصابات الجهاز العصبي أو اضطراب وظائفه ؛ ويقل وضوح تأثير هذه العوامل

عند دراستنا للشخصيات العادية السليمة حيث يقل نسبياً تأثير الاختلافات الفردية في هذه النواحي الجسمية .

ولكن هذا لا يمنع من ذكر بعض العوامل الجسمية على سبيل المثال لنعرف كيفية تأثير الشخصية بها ومن ذلك ما يأتي :-

- ١ — النمو الجسمي .
- ٢ — حالة الغدد الصماء .
- ٣ — المظاهر الحركية .
- ٤ — الماهات والأمراض الجسمية .

النمو الجسمي :

ويتبعه حالة الجسم من حيث القامة والهيئة وتوافق النمو الجسمي مع النمو العقلي والاجتماعي . فكثيراً ما نلاحظ في أحكامنا على الشخصية إلى معرفة العمر الزمني الذي أمكن للشخص فيه أن يمشي أو يتكلم ، أو التاريخ الذي تم عنده البلوغ والنضوج الجنسي ؛ فمثل هذه النواحي من مظاهر النمو الجسمي تلتق كثيراً من الضوء على سمات الشخصية التي يراد بحثها . وهناك علامات جسمية خاصة في أجزاء مختلفة من الجسم يمكن بها أن نعرف العمر التشريحي للشخص (Anatomical age) كعرفة السن الذي تحولت فيه الغضاريف إلى عظام في منطقة الرسغ مثلاً . . . وهكذا .

أثر إفرازات الغدد الصماء في الشخصية: (Endocrine glands)

وليس لهذه الغدد قنوات وإنما تصب إفرازاتها في الدم مباشرة .
ولها تأثير كبير على النمو الجسمي والحركي والتغير الانفعالي وما يتركه
ذلك في اتزان الشخصية أو انحرافها من آثار .

غدة الأدرنالين: (Adrenal) أو الغدة فوق الكلوية: وتفرز

أنواعاً من الهرمونات لها أثرها في مظاهر الحياة الانفعالية في
الشخصية ، وما يصاحب الانفعال من تغيرات جسدية ذات قيمة
بيولوجية تساعد على مواجهة المواقف والأخطار .

وعلى تنظيم وظيفة هذه الغدة وغيرها من الغدد بتأثير الجهاز
العصبي السمباثوى والباراسمباثوى يتوقف استمرار أو انتهاء الآثار
الانفعالية التي بها تحدث الحالات المزاجية غير الثابتة التي تسمى
(Moods) وما يتبعها من تغيرات دورية بين الهبوط والنشاط ،
أو بين التفاؤل والتشاؤم ، أو الشعور بالسرور والشعور باليأس
والحزن . . . وهكذا .

الغدة الدرقية: (Thyroid) ومكانها على جانبي القصبة

الهوائية عند الخنجرية ، وإفرازاتها تؤثر على تنظيم بناء خلايا الجسم ،
ولها إذن تأثير على سرعة النمو والنضوج عند المشي أو الكلام . . . وقد
يقل إفرازها بدرجة تنتج لنا نوعاً خاصاً من الشخصية التي تتميز

بالتحول وضعف الحيوية وهبوط المستوى العقلي . . ومن الأمثلة
لذلك حالات الأطفال المصابين في طفولتهم بضمور الغدة
أو ضعفها لدرجة يصل بها مستواهم العقلي إلى درجة تجعلهم من
طائفة ضعاف العقول . . ويعرف هذا النوع من الضعف العقلي
بالسكرينزم (Creminism) . ومن الممكن علاج هذا النوع من
الضعف العقلي طبييا إذا اكتشفت الحالة في وقت مبكر .

أما إذا زاد إفراز هذه الغدة عن الحد الضروري فإن الشخصية
تتميز بالقلق والأضطراب، وعدم الثبات وسرعة الاستثارة ، وصفات
الشخصية « المصبية » وما يتبع ذلك من تحول وخفة في الوزن .
الغدة التخامية : (Pituitary) ومكانها في قاع المخ وتعتبر منظمة

ومحركة لباقي الغدد حيث نجد لإفرازاتها آثاراً عايبها جميعا . فلها
هورمونات تؤثر في النمو وطول القامة أو قصرها ، وإفرازات
تتبادل مع إفرازات الغدد التناسلية فتؤثر على النضوج الجنسي ،
وإفرازات تؤثر في بناء أنسجة الجسم فترتبط بذلك مع الغدة
الدرقية . . وهكذا . ومن أنواع الشخصية الظاهرة التي يدخل
فيها أثر هذه الغدة . طوال القامة بسبب نمو العظام ، أو من
يكونون على درجة كبيرة من قصر القامة مع السمنة المفرطة المصحوبة
بالضعف الجنسي وتوزيع الدهن على أجزاء معينة من الجسم . .
وهكذا . . .

الغدد التناسلية : (Sex) وهى المسئولة عن التحكم فى نضوج وعمل الأجهزة التناسلية ، ومظاهر الرجولة أو الأنوثة وعلاماتها التى تؤثر تأثيراً ظاهراً فى نوع الشخصية . وإلى نشاط هذه الغدد وإفرازاتها يرجع وجود صفات الأنوثة التى قد تصل إلى درجة كبيرة من التخذت عند بعض الذكور ؛ ووجود صفات الرجولة التى تصل أحيانا لدرجة ظاهرة فى بعض الإناث ؛ وما يصاحب ذلك من أثر فى طابع الشخصية العام وأسلوبها فى الحياة .

وقد يحدث عن اضطراب إفرازات هذه الغدد حدوث البلوغ مبكراً وقبل الأوان ، ويكون ذلك فى الغالب بسبب الزيادة المفرطة لإفرازات هذه الغدد المصحوب بضمور أو ضعف فى إفرازات الغدد الأخرى بحيث لا تتوازن إفرازاتها ؛ وطبيعى أن الشخصية فى هذه الحالة تتأثر فى جملتها بسبب عدم تناسب النمو الجنسى والانفعال مع النمو الجسمى ، وما قد يؤدي إليه ذلك من إشباع الميل الجنسى بطرق غير مشروعة ؛ ويقال إن هناك حالات حدث فيها البلوغ عند سن السابعة . وحالات حدث فيها البلوغ عند سن الرابعة ! وعلى النقيض من ذلك قد يحدث أن يتأخر موعد البلوغ عن أوانه المعتاد بسبب عدم كفاية الإفرازات الداخلية أو هورمونات الغدد التناسلية ، وطبيعى أن يبقى الشخص رغم كبر

سنة متصفاً بصفات فيها مظاهر الطفولية ، فتجد هذا النوع من الرجال صفاراً في تصرفاتهم ، ولا يستطيعون بسهولة أن يكتفوا بأنفسهم في الوسط المحيط بهم حيث تنفير النظرة إليهم لما يبدو عليهم غالباً من صفات أقرب إلى الأوثان منها إلى الرجولة . ويلاحظ في مثل هذه الحالات أن غدتي الطفولة وهما الغدة التيموسية (Thymus) والغدة الصنوبرية (Pineal) تظلان في حالة نشاط مستمر ، إذ أن حدوث البلوغ يصحبه عادة ضمور هاتين الغدتين ، لأن عملهما مضاد لعمل الغدد التناسلية .

ويجب أن نضع في أذهاننا عند بحث آثار الغدد الصماء على الشخصية أن نشاط الغدد جميعها متداخل ، وأن أي أعراض من التي سبق ذكرها يمكن أن ترجع لأكثر من غدة من الغدد السابقة ، ولهذا فإن الحكم النهائي على نشاط هذه الغدد وأثرها يجب أن يترك للإخصائيين .

أثر المظاهر الحركية في الشخصية :

تتوقف هذه المظاهر الحركية على عوامل جسمية وعوامل عقلية في آن واحد؛ فسرعة الحركة أو بطؤها والاندفاع أو القدرة على التحكم في الحركات ، والتوافق الحركي سواء في المشي أو الكتابة أو القيام بأعمال يدوية تحتاج لمهارات خاصة ، كلها تتوقف على ما يتكون بين

الجهاز العصبي والعضلي و بين عمليات الإحساس والإدراك والانتباه من ارتباطات، وما يحدث للشخص من تغيرات انفعالية ومزاجية .
ولانواع الحركية أهمية كبيرة في الحكم على الشخصية لأنها من العوامل الظاهرة الممكن ملاحظتها بوضوح ، ولهذا يقال أحيانا إن من الممكن أن نميز نوع شخصية الناس من حركاتهم وكلامهم وإشاراتهم وطريقة نومهم أو جلوسهم وغير ذلك من المظاهر الحركية؛ فالشخص المضطرب الانفعال المتغير المزاج يكون مضطرباً في حركاته ومرتبكاً في مشيته وطريقة كلامه ، والشخص الهادي المتزن نجده متزناً في مشيته وحديثه وحركاته . وهكذا . . . وفي بعض الأمراض العقلية نتخذ الأعراض الحركية مقياساً مساعداً لتشخيص الحالة المرضية ، ومن أمثلة ذلك الحركات النمطية والحركات المنادية أو الجمود الحركي في أوضاع حركية معينة بدون سبب مفهوم ، وغير ذلك ، كما في المرض العقلي المسمى « بالفصام الكاتونى » (Catatonic Schizophrenia).

أثر العاهات والأمراض الجسمية في الشخصية :

العاهات من أبرز العوامل التي تميز صاحبها في شخصيته تبعاً لنوع العاهة وما تحدثه من شعور بالنقص إزاء الغير ، وبحسب ما يحدث بسببها أحيانا من تقليل الفرص أمام الشخص ، سواء من حيث كسب الخبرة الحسية كما في عاهات الحواس ، أو من حيث الانتقال

والحركة كما في عاهات الأطراف ونحى عن الذكر ما تحدثه
العاهات الناتجة من حوادث الإصابة في المخ أو أى جزء آخر من
أجزاء الجهاز العصبي من شذوذة وتأثير بالغ في الشخصية عموماً .
ولا يفوتنا أن نشير إلى ما قد تحدثه بعض العاهات من أثر
تعريفى حيث تبرز في الشخصية نواح تساعد صاحبها على النجاح
أو الظهور مما ينطبق عليه المثل القائل « كل ذى عاهة جبار » .
أما الأمراض وخصوصاً المزمنة منها فأثرها قد يكون أبعد
من تأثير العاهات في تكوين الشخصية ؛ إذ أن الأمراض عادة
تتناول الجسم كله ، وتؤثر على الشخصية بأجمعها من حيث استغلال
الطاقة الجسمية والعقلية وتوجيهها ويضاف إلى ذلك أن بعض
الأمراض لا يكون ظاهراً فيشعر به الغير ؛ ولذا لا يستدر الشفقة
أو العطف من المحيطين بالشخص كما يحدث في حالات العاهات
الظاهرة ، ولذلك فإن تأثير الأمراض في تكوين الشخصية لا يقل
في أهميته عن أى عامل آخر .

ومن كل هذا يتبين أن الحكم الصحيح على الشخصية
يجب أن يشمل النواحي الجسمية خصوصاً في دراسة الشخصيات
المرضية أو الشاذة ؛ فكثيراً ما تلقى هذه العوامل الجسمية الضوء
على النواحي النفسية والعقلية للشخصية .